مُقَدِّمَة

التطور التاريخي لعلاج مشكلة الفقر

المتتبع للتاريخ الإنسانى على مر العصور والأزمان ، يجد أمراً جديراً بالملاحظة، وهو أن أى مجتمع به طبقتان : طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء. وكلما ازدادت طبقة الأغنياء غِنىً تزداد طبقة الفقراء فقراً ، عندئذ يتداعى البنيان الاجتماعى ، لِوَهْن أساسه ، وقد لا يدرى المترفون من أى النواحى خر عليهم السقف.

لقد كانت مصر فى عهدها القديم جنة الله فى الأرض ، وكانت أرضها تنتج ما يكفى أضعاف أهلها ، ومع ذلك كانت الطبقة الفقيرة لا تجد ما تأكله ، لأن طبقة الأغنياء لا تترك لهم شيئاً إلا اليسير الذى لا يُسمن ولا يُغنى من جوع. ولما أصابتها المجاعة فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، باع الفقراء أنفسهم للأغنياء فساموهم سوء العذاب!.

أما لدى الإغريق (اليونان) الأقدمين فكان حال الفقراء أَسْوَأَ بكثير من حاله فى مصر القديمة ، فقد كان الفقراء يساقون بالسياط إلى أحط الأعمال، ويذبحون لأقل الهفوات.

ولم يكن حال الفقراء فى الدولة الرومانية، وما قام على أنقاضها من ممالك أحسن حالاً من ذلك ، فقد كان الفقراء يباعون كالماشية مع أراضيهم.[1]

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول وضع الفقراء فى العصور القديمة انظر :

- محمد فريد وجدى ، الإسلام دين عام خالد ، الطبعة الأولى ، ص ١٧٩-١٨١.
- يوسف القرضاوى ، فقه الزكاة الجزء الأول ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٤٦-٥١.

وأمام هذا الوضع السَّيِّئ حاولت الأديان الوضعية والسماوية السابقة على الإسلام، التخفيف من حدة هذه المشكلة بالدعوة إلى البر والرأفة بالفقراء والضعفاء، ولكن هذه الدعوة لا تعدو أن تكون ترغيبا فى الإحسان والعطف، وترهيبا من الأنانية والبخل ودعوة إلى التصدق الفردى الاختيارى، ولم تتمتع بأى درجة من الإلزام بحيث يشعر من لا يفعل بالخوف من عقاب الله فى الدنيا والآخرة. كما لم تحدد تلك الأديان المال الذى تجب منه الصدقة والمقدار الواجب فيه. كما أن هذه الدعوة إلى الإحسان لم يكن هدفها «علاج مشكلة الفقر» ، بل كان المقصود منها التقليل من البؤس الذى يعانيه الفقراء.

فلما جاء الإسلام وضع منهجاً متكاملاً لرعاية الفقراء والضعفاء لم يسبق له نظير فى ديانة سماوية ولا فى شريعة وضعية ، سواء ما يتعلق بجانب التربية والتوجيه ، أو ما يتعلق بجانب التشريع والتنظيم ، وما يتعلق بجانب التطبيق والتنفيذ. بل إن الإسلام جعل رعاية اليتيم، والحض على طعام المسكين مساويا للإيمان بالله ، وأن ترك ذلك مساوٍ للكفر بالله العظيم ، وذلك فى قوله سبحانه. ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣].

وفى العصر الحديث تطور منهج تخفيض أعداد الفقراء خلال النصف الثانى من القرن العشرين ، ففى الخمسينيات والستينيات رأى البعض أن استثمارَ مبالغَ كبيرةٍ فى بناء رأس المال المادى ومرافق البنية الأساسية هو الوسيلة الرئيسة لتحقيق التنمية ومن ثم تخفيض أعداد الفقراء ، وفى السبعينيات أدرك المهتمون بشئون التنمية أن رأس المال المادى وحده لا يكفى لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وأن التعليم والرعاية الصحية لهما نفس القدر من الأهمية ، لذلك أوضح تقرير البنك الدولى عن التنمية فى العالم لعام ١٩٨٠م ، أن تحسين مستوى التعليم والرعاية الصحية هام جدا لتحقيق التنمية وكذلك لتشجيع نمو دخول الأفراد.

وفى الثمانينيات حدث تحول فى محور التركيز لينصب على تحسين إدارة الاقتصاد، والسماح لقوى السوق بأن تلعب دوراً أكبر ، لذلك اقترح تقرير البنك الدولى عن التنمية فى العالم ١٩٩٠م لمعالجة الفقر ، استراتيجيةً ذات شِقين : الأول، تشجيع النمو المكثف لاستخدام الأيدى العاملة من خلال الانفتاح الاقتصادى والاستثمار فى مرافق البنية الأساسية ، والثانى ، تقديم الخدمات الأساسية للفقراء فى مجالى التعليم والرعاية الصحية.

وفى عام ٢٠٠١/٢٠٠٠م وفى ضوء الأدلة والتجارب والخبرات المتراكمة من العَقْدِ الماضى ، اقترح البنك الدولى - فى تقرير عن التنمية فى العالم- استراتيجية للتصدى للفقر بثلاث طرق : تعزيز إتاحة الفرص ، وتسهيل تمكين الناس من أسباب القوة ، وتحسين الأمن. وليس هناك أى ترتيب لهذه العناصر من حيث أهميتها ، إذ أن كلا منها يكمل بقيتها بشدة ويتكامل معها. وكل جزء من هذه الاستراتيجية يؤثر فى الأسباب الكامنة وراء الفقر التى يعالجها الجزآن الآخران.(١)

ونلاحظ - مما سبق أن استراتيجيات الحد من الفقر، وتخفيض أعداد الفقراء التى اتبعت خلال النصف الثانى من القرن العشرين فشلت فى تحقيق أهدافها بل تزايد أعداد الفقراء فى العالم ، فقد ارتفع عدد من يعيشون على أقل من دولارين فى اليوم من ٢,٤٥ مليار نسمه عام ١٩٨١م إلى ٢,٦١٤ مليار نسمه عام ٢٠٠٢م.(٢)

---

(١) البنك الدولى ، شن هجوم على الفقر ، تقرير عن التنمية فى العالم ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، ٢٠٠٠/ ٢٠٠١ ، ص ٦-٧.

(٢) World Bank, World Development Indicators, Washington, 2006, PP. 73.

وفى مصر ارتفعت نسبه الفقـراء إلى إجمـالى عـدد الـسكان مـن ٢٠,١٪ عـام ٢٠٠٠م إلى ٢٠,٧٪ عام ٢٠٠٤ ، وإن كان هناك تحسن فى نسبة الـسكان الأشـد فقـرا حيـث انخفـضت نـسبتهم مـن ٥,٨٪ عـام ٢٠٠٠م[١] إلى ٤,٧٪ عـام ٢٠٠٤م.[٢]

وفى الولايات المتحدة الأمريكية بلغ معدل الفقر ١١,٧٪ عـام ٢٠٠١م[٣] ، وتشير إحصاءات توزيع الدخل إلى أن أفقر ٢٥٪ من السكان حصل على ٣,٥٪ من الدخل ، فى حين حصل أغنى ٢٥٪ على ٥٠,١٪ من الـدخل عـام ٢٠٠١م ، بينما حصل أغنى ٥٪ من السكان على ٢٢,٤٪ من الـدخل فى نفـس العـام.[٤] وتشير هذه الإحصاءات إلى المدى الذى بلغه سـوء توزيـع الـدخل فى الولايـات المتحدة!.

إن التطور التاريخى لمشكلة الفقر وفشل جميع الجهود التى اتبعت لحلها، أثبتت أن الاعتماد على المدخل المادى الكلاسيكى وحده لعلاج مشكلة الفقر غير كافٍ ، ويتطلب الأمر البحث عن مداخل أخرى، تساند المدخل المـادى وتكمـل أوجـه القصور المصاحبة لـه. **والإسلام يوفر مثل هذه المداخل التى تعزز المدخل المادى ، ويدخل علاج الفقر فى صلب العقيدة الدينية للإنسان المسلم.**

---

(١) تقرير التنمية البشرية ، معهد التخطيط القومى بالاشتراك مع برنـامج الأمـم المتحـدة الانمائـى ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ق/ ١٦ ، ص ١٣٩.

(٢) تقرير التنمية البشرية ، معهد التخطيط القومى بالاشتراك مـع برنـامج الأمـم المتحـدة الإنمائـى ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ق/ ١٥ ، ص ١٩٤.

(٣) U.S. Bureau of the Census, Poverty in the United States: 2001, Current Population Report, Series P. 60, No. 219, September 2002. (www.census.gov.).

(٤) U.S. Bureau of the Census, Money Income of Households, Families and Persons in the United States : 2001, Current Population, Series P. 60, No. 218, September 2002. (www.census.gov/hhes/www/.)

فقد جعل الإسلام «زكاة المال» الركن الثالث من أركانه التى لا يكتمل إسلام المرء إلا بها. كذلك جعل الإسلام الحض على طعام المسكين قرين الإيمان بالله العظيم ، وتَرْكَ ذلك الحض قرين الكفر به سبحانه وتعالى. كذلك جعل الإسلام شكر الله على نعمه يكون بالتصدق على الفقراء والمساكين ، وجعل كفارات الذنوب التى يقع فيها الإنسان -خلال سعيه فى الحياة الدنيا- إطعام المساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة مؤمنة من ذل العبودية ونِيرِ الرق .... وغير ذلك من الأمور الأخرى. كل ذلك فى منهج متكامل الأركان للقضاء على الفقر، واستئصاله من المجتمع البشرى.

❁ لذلك فإن هذا الكتاب يهدف إلى :

(أ) بيان المنهج الإسلامى المتكامل لعلاج مشكلة الفقر ، وهذا يتطلب جمع متفرق هذا المنهج فى كتب فقه العبادات وفقه المعاملات، وكتب المالية الإسلامية، والسياسة الشرعية، وكتب التاريخ الإسلامى وكتب الاقتصاد الإسلامى ؛ وذلك ليكون هذا المنهج واضحا أمام المسئولين ومتخذى القرار فى المجتمعات الإسلامية للاستفادة منه فى القضاء على مشكلة الفقر ، خاصة وأن هذا المنهج مرتبط بالحياة اليومية للإنسان المسلم غنياً كان أم فقيراً.

(ب) بيان التطبيق العملى للمنهج الإسلامى لعلاج مشكلة الفقر.

(جـ) التقدير الكَمِّى لبعض عناصر المنهج الإسلامى لعلاج مشكلة الفقر ، خاصة المتعلق منها بِدُور الأغنياء فى علاج مشكلة الفقر. وبيان أثر هذه العناصر على توزيع الدخل العائلى فى مصر عام ٢٠٠٤/٢٠٠٥م.

ومنهج الإسلام فى مواجهة مشكلة الفقر ينبع أساساً من توصيفه لمشكلة الفقر ، وهذا التوصيف يختلف تماما عن توصيف المناهج الأخرى التى حاولت

مواجهة مشكلة الفقر ، لذلك يجب عرض هذه المناهج وبيان توصيفها لمشكلة الفقر أولا قبل بيان توصيف الإسلام لمشكلة الفقر.

وتحقيقا للهدف من هذا الكتاب ، فلقد تم تقسيمه إلى المباحث الرئيسة التالية:

* **المبحث الأول :** مناهج مواجهة مشكلة الفقر.
* **المبحث الثانى:** توصيف مشكلة الفقر من المنظور الإسلامى.
* **المبحث الثالث:** المنهج الإسلامى لعلاج مشكلة الفقر.
* **المبحث الرابع:** التطبيق العملى للمنهج الإسلامى لعلاج مشكلة الفقر.
* **المبحث الخامس:** التقدير الكَمِّى لبعض عناصر المنهج الإسلامى لعلاج مشكلة الفقر.
* **الخاتمة.**

والله ولي التوفيق

المؤلف